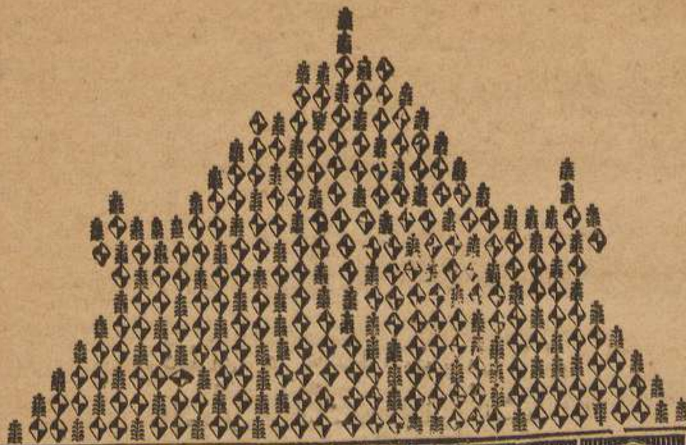


الردّ المبين على جهلة المتصوفين للعالم
اللوذعى والفاضل الالمعى الشيخ
وفا بن محمد وفا القونى
المالكى نفع الله
به آمين

~~Sans 1661~~ OL23900.1
DEC 12 1888
Constantius fund.

(الله)



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يامن جعلت نظام الانام منوطا بالاحكام والشرائع * ونصبت أئمة الدين وعلماء اليقين لسد المفاسد والذرائع * سبحانك ما أعظم ابداعك وأجل اختراعك لم تخلقنا سدى وأيدت المقبلين على الهدى صل على مرتبتك الجامعه وشمس أهل حضرتك الطالعه سيدنا محمد وآله * وكل ناسج على منواله (وبعد) فيقول الفقير اليه تعالى وفا ابن محمد وفا القوني المالكى ان أجل ما يتوجه اليه اللبيب بهمته وينعطف عليه الاريب بكامل ارادته طريق التصوف العظيم الشان الواضح الحجة والبرهان كيف لا وهو منهج الافاضل والجم الغفير من الاواخر والاوائل هذا وقد كان بأهله عظيم البنيان مشيد القواعد والاركان فلما اختلستهم أيدى الزمان وذهبت بهم صروف الحدثان أصبحت معالمه مظلمة بعد أولئك الشموس دارسة ولا عطر بعد عروس وشعر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بيد أن كتبهم لم تزل مبهمة المطالب متشابهة على من لم يكن له بنور البصيرة ذهن ثاقب وهكذا بقى رمزها مخفيا وصار أهلها نسيا منسيا حتى ظهر المتشبهون بهم المتسترون برسمهم فاتخذوا دينهم لهوا ولعبا وادعوا الطريق بهتانا وكذبا ولازالوا يخطئون عن سواء الحق

بهواتفه

ومواقعه ويحرفون الكلم عن مواضعه حتى ظهر الفساد منهم بين الانام وصارت طريقتهم كالديانة المقابلة لدين الاسلام وحيث كان أمرهم جليا لدى الناظرين خفيا على عوام المسلمين وليتنبهوا من رقدتهم ويتزعوا من غفلتهم تعرضت لاظهار الحق لديهم وعرض معايبهم عليهم في هذه الرسالة المرتبة على بابين وخاتمة * أما الباب الاول ففي التنبيه على ان العلوم الشرعية هي مقدمة الحقيقة وأما الثاني ففي ذكر بعض أوهام أولئك الطوائف ومعايبهم وأما الخاتمة ففي ما يجب على السالك أولا قبل دخوله في الرياضة التي هي معراج كماله وذكر الرياضة اجمالا * وسميتها الرد المبين على جهلة المتصوفين * وأنا قصير الباع سيري بلا اله الا الله وبه أعتضد وعليه أعتمد

* الباب الاول في التنبيه على ان العلوم الشرعية هي مقدمة الحقيقة *

اعلم ان غاية الحقيقة انما هو تحقق النفس بالصفات الكمالية التي هي الغرض الاقصى لكل نسمة في الوجود فقد ورد تخلقوا بأخلاق الله الحديث ثم ان للكمالات بأجمعها أصولا ثلاثة هي معرفة المبدأ والمعاد وما بينهما والمراد بمعرفة المبدأ معرفة الله تعالى من حيث الوجود والصفات الكمالية اجمالا وتفصيلا معرفة لا يعتورها شك ولا ترديد والمراد بمعرفة المعاد معرفة النشأة الآخرة وما يتبعها من الجنة والنار والصراط والميزان ونحو ذلك والمراد بمعرفة ما بينهما معرفة ما يجب على الشخص في حد ذاته من تهذيب نفسه بأنواع العبادات وما يجب عليه بالنسبة لاهل بيته كرعاية حقوقهم الواجبة عليه لهم وما يجب عليه بالنسبة لبقية الخلق من مراعاة مصالحهم ومعاملتهم على وجه لا يظلم ولا يظلم هذا ولما كانت معرفة هذه الاصول الثلاثة على وجه حق لا يتأتى لكل أحد استقلالا جاءت الشريعة الغراء مبينة لكل واحد منها على وجه لائق كاف فأحكامها المنوطة ببيان المبدأ والمعاد وتوابعهما كالذي يجب للرسل تسمى أحكاما أصلية واعتقادية ويبحث عنها في علم التوحيد والاحكام الباحثة عن الوسط تسمى أحكاما فرعية وعملية وتبين في فن الفقه فقد بان من هذا ان أصول الكمالات انما تبين بأحكام الشريعة فلا جرم ان الناظر في أحكام الشريعة العارف بها على وجه تفصيلي يلحظ لوائح نور الحقيقة من شاطئ الوادي المقدس من الشريعة ومن هذا كله وسيأتي في الخاتمة زيادة توضيحه تعلم ان معرفة الاحكام الشرعية هي الباب الذي يتوصل منه الى سرادقات الحقيقة التي غايتها التحقق بالاخلاق المصطفوية ظاهرا وباطنا اذ ذلك لا يمكن الا بالسير على نهجه صلى الله عليه وسلم وهذا لا يحصل الا للعالم بالشريعة اجمالا وتفصيلا اذ ما من حكم من أحكامها الا وهو عنوان على كمال من الكمالات اذا سمعت هذا فاياك ودعوى الحقيقة بدون معرفة غوامض الشريعة فضلا عن ضرورياتها والا فكيف تقف بدون أرجل أو تبصر بدون أعين فاعقل واسمع وخذ الرفيق قبل الطريق والا أكلتك سباع تلك البادية الخفية الاعماق فلا تمكن

عن النصح أبيا ولاتنس نصيبك من الدنيا والا فكم من مغرور وضال وقف موقف الرجال فالتبس عليه الحال فصار يتخبط فى حفرة جهله وأجلب عليه الشيطان بخيله ورجله ومن خباثة صنعه ورذالة طبعه ان جعل له قوادا ونصب نفسه من أهل الارشاد والى الآن ماعرف انه شيطان فيا ليته حصل من لم يحصل كما قال ابن الفارض

تعرض قوم للغرام وأعرضوا * بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا
رضوا بالامانى وابتلوا بحظوظهم * وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا
فهم فى السرى لم يبرحوا من مكانهم * وما ظعنوا فى السير عنه وقد كلوا

بل انه تنزل عن الحلى بمراتب لاتتناهى وبالجملة كفى هذا المسكين ضلالا على ضلاله جهله بالاحكام الشرعية التى عليها مدار السعادة الابدية وانتصابه للمرتبة التى هى فى الناس أعز من الكبريت الاحمر وليت شعرى اذا سئل عن نص الشرع فى أى حادثة وقعت بين يديه ماذا يصنع فان لم يجب احتقروان قدم على الفتيا من غير دراية عنده فبقطع النظر عن كون ذلك لايجوز فماذا يكون جوابه اذا خطأه غيره ممن له دراية بالشريعة أورفع للقاضى ولا أقل وبخه على الفتيا من غير علم فقد خاب أمله ورد عليه منصبه هذا كل أذية كان يظنها بعيدة عن المتلبس بهذا المنصب لاسيما اذا خطئ مرارا فى مجالسه الحافلة خصوصا خزى الآخرة بحضرة الاولين والآخرين اذ عباداته وكافة معاملاته بل جميع أفعاله كلها دائرة بين الحرمة والفساد اذ لايدرى مابه تكون صحيحة أو جائزة اذ فرض المسئلة انه جاهل باحكام الله ورسوله فكيف يهدى الناس الى الصراط المستقيم وهو منحرف عنه أو ينهى الناس عن المنكر وهو قطعة منه وأيضا كيف يزعم ان الشريعة والحقيقة على طرفى نقيض مع ان جهابذته الاول الذين هم على سننهم فى زعمه لم يدخلوا الى سرادق الحقيقة الا بعد ان حصلوا من الشريعة كلياتها وجزئياتها وأصولها وفروعها بل ان بعضهم كان يدرس لتلاميذه اثنين وسبعين علما والآن كان منهم لايعرف علوم غير الشريعة فضلا عن علومها كالفقه وأصوله والحديث والتفسير وعلوم العربية التى يتوقف فهم كلام الله ورسوله عليها ومن العجيب انه لايكاد يفهم معنى النقير والقطمير وتراه يتكلم بكلمات توهمك انه يعرف معانيها بل يظن سامعها انه لايتكلم الا عن أنوار المكاشفات وثمار الحكمة التى لا يظفر بها الا الراسخون فى بحار المجاهدات القاطفون زهرة علم الاسرار المصون عن الاغيار المختص بأهل العرفان مع انه لايعرف بديهيات الشريعة فمن أين يتكلم بالاسرار اويدعى معرفة ذى الجلال والاكرام * ومما يناسب مانحن فيه قول الغزالى بفيه قدس سره اذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم تشبثت بالقلب خيالات فاسدة تركن اليها النفس مدة طويلة الى ان يزول وينقضى العمر قبل النجاح فكم من صوفى سلك هذا الطريق ثم بقى فى خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال فى الحال فالاشتغال بطريق التعلم

أوثق وأقرب الى الغرض وترك ذلك يضاهي مالوترك الانسان تعلم الفقه زاعما ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم الفقه وصار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرير وتعليق فانا أيضا ربما تنتهي بي الرياضة والمجاهدة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فلابد من تحصيل ماحصله العلماء وفهم ماقالوه ثم لابأس بعد ذلك بالتعرض لمالم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة الصادقة في رياضة النفس بتنقية الباطن وتصفيته من الاخلاق البشرية والتباعد عن غرور المغترين كمتصوفة أهل الزمان الامن عصمه الله فانهم اغتروا بالزى والهيئة والمنطق والرقص فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي ألفاظهم وآدابهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة من السماع والطهارة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا انهم منهم ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهيره من الآثام الخفية وكل ذلك من أوائل منازل الصوفية ولوفرغوا عن جميعها لم يجز لهم ان يعدوا أنفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا حولها ولم يسوموا أنفسهم شيأ منها فكان أمرهم كماقيل * أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحي غير نسائهم * وياليتهم اقتصروا على ذلك بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين ثبتت اسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من أقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان تقطع مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال أبياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزى والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في الديوان فلما وصلت اليه أمر بان تجرد عن المغفر والدرع وينظر ماتحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز ضعيفة زمنة لاتطيق حمل الدرع والمغفر فقيل انها أجيئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها فألقوها قدام الفيل ليسحقها فألقيت الى الفيل فهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لاينظر الى الزى والمرقع بل الى سر القلب قال ومنهم من ادعى علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال ولايعرف هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ

الا انه تلقف من كلمات القوم ألفاظا يرددها و يظن ان ذلك علم أعلى و ينظر الى الفقهاء والمحدثين بعين الازدراء حتى ان الفلاح يترك فلاحته والحايك حياكته و يلازمه أياما و يتلقف منه هذه الكلمات المزيفة ويرددها كأنه يتكلم عن الوحي وسر الاسرار و يستحقر بذلك جميع العباد والعلماء و يقول انهم محجوبون بعبادتهم وعلمهم و يدعي لنفسه انه هو الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين وأصناف غرور المتشبهين بالصوفية لا تحصى وانواعه لا تستقصى ومن الله الاستعانة و به الاستعاذة انتهى فبان انه ليس في السكون مذهب يطابق غير شريعة المصطفى فشد رحالك اليها واعتمد في كل الامور عليها ولا تقل قد بلغ العمر منتهاه فآخر كل شيء أحلاه وان لم تضرب عن السكر نهيا كنت رجلا سفيها والافقف موقف العوام وأعط القوس باريها قال الشاعر العارف بربه

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه * ولا بكاؤك ان غنى المغنونا
ان التصوف ان تصفو بلا كدر * وتتبع الشرع والقرآن والدينا

ولنزدك بيانا فنقول ان النفوس الانسانية على ما ذكره أهل الكشف من الصوفية كانت قبل تعلقها بابدانها من جنس سكان السموات والملائكة المقربين فقد ورد ان كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه أو ينصرانه ثم انها تنزلت من عالم النور لحكمة لا يعلمها الا اللطيف الخبير وتعلقت بأبدانها الارضية و بواسطة تعلقها المذكور انصرفت عن عالمها الاولى الى تدبير أبدانها وتربيتها بأنواع المآكل والملابس البدنية حتى صارت مشتهياتها الطبيعية هيآت ظلمانية وامراضا لها فضعفت ملكتها وذهبت قوتها الملكيتان حتى تبدل كمالها الاولى بتلك النقائص الطبيعية أعني هذه الشهوات البدنية ثم انها ما دامت لها هذه الاوصاف فهي في ربقة الجهل البين الذي هو لها بمنزلة المرض المزمن ولا يمكنها صرف العنان الى كمالها الاولى والتوجه الى عالمها الملكوتي الا بقوة قاهرة تزيل منها هذه الاوصاف الطبيعية والحجب الظلمانية ولما كان من عناية الله سبحانه أن لا يهمل ما فيه الخير لعباده وأي خير لهم أعظم من رجوع هذه النفوس الى منازلها الاولية القدسية في ملكوت رب البرية اقتضت العناية الالهية ارسال الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام لانقاذ النفوس من الظلمات الى ما هو النور بالذات وتمم الكل بالخاتم الاعظم الجامع لجميع الكمالات صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فداوى النفوس وأزال عنها هاتيك البؤس وحيث كان صلى الله عليه وسلم له جهة الملكية كان يتلقى الاحكام من لدنه تعالى ومن هذه الجهة أيضا كان خارجا عن طوق البشر أي بقدرة الله على الافعال المعجزة كشق القمر وتلقي الكلام الذي عجز كل فصيح عن أن يأتي بكأقصر سورة منه وكمطالعة الغيوب وجهة البشرية ومن تلك الجهة كان يأكل وينام وهكذا من بقية الاعراض التي لا تؤدي الى نقص في مرتبته العلية ومن هذين

الجهتين تم له صلى الله عليه وسلم تنفيذ الاحكام واهداء الناس بطرق شتى وآيات بينات فتخيل ان النفس بمنزلة مريض مزمن لا مداوى له الا من عينه اللطيف الخبير وأن النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة الطبيب الحاذق الذى يعرف مواقع المرض معرفة تامة و يعرف مايصلح له من الدواء ومالا يصلح وهذه الاحكام والشرائع بمنزلة العقاقير المعينة للدواء التى لا يصلح له سواها وحينئذ فعلى هذا المريض ان يقتصر على هذا الطبيب بعينه وان يعرف هذه العقاقير التى عينها هذا الطبيب كي يحصلها وان يستعملها ويتجنب ماسواها حتى يشفى من امراضه وليت شعري ان لم يكن هذا المريض عالما بتلك العقاقير عارفا بها اجمالا وتفصيلا فمن اين تكون مطلوبة له ليستعملها حتى يشفى من مرضه وأعجب من هذا ان يدعى بدون ذلك كمال شفاء نفسه من امراضها وخروجها عن عوائد أغراضها و ينصب نفسه طبيبا لمداواة غيره والحال أنه قد أخذ فى السياق ومابقى له على الموت الا قدر فواق فنسأله سبحانه أن يعصمنا من النفاق انه كريم خلاق والله أعلم

﴿الباب الثانى فى ذكر بعض اوهام أولئك الطوائف ومعايبهم﴾

اعلم انه وان كانت هفواتهم ظاهرة صريحة لكل انسان غير انا نذكر كل واحدة بخصوصها زيادة فى تنبيه المغترين فنقول ان هؤلاء القوم كثيرا مايرددون لفظ الحقيقة والشريعة حتى ان سامعيهم سواء كانوا عوام أو خواص يفهمون منهم أن بين الحقيقة والشريعة بونا بعيدا ولعمرى ان ذلك ضلال بعيد عن الهدى وسيلقون عاقبته غدا و يؤيد ذلك قولهم لمن ينكر عليهم أفعالهم المخالفة لنص الشرع أن ذلك جائز عند أهل الحقيقة فلأن يضربوا بانفسهم عرض الحائط خير لهم من أن يقولوا زورا وليت شعري هل يفهمون لهذا اللفظ معنى واقعيا ما أظن أن ذلك يكون للمتبصر بالحقيقة بل أقول انما نشأ لهم ذلك مما يعتقده مشايخهم الصم البكم العمى من التباين بين الشريعة والحقيقة فحسبهم الله وكفى * وقد تبين لك مما قدمناه ان الشريعة معراج الحقيقة بل غاية الحقيقة تحقيق الشريعة كما سيأتى وكذلك يعتقدون ان لأشياخهم تأثيرا فيمن شاؤا بما شاؤا من مرض وفقر وموت ولد وانعزال عن منصب وسلب علم وانقلاب حال وسلب ايمان ونحو ذلك ولا يعلمون ان همة المرسلين وغاية سعى الهادين انما كان تنوير البصائر وتحقيق اليقين بالله وأنبيائه فأنى للاولياء المقتفين آثار أولئك الطاهرين ان تتوق أنفسهم لسلب الايمان واعماء الجنان نعوذ بالله من الشيطان وبالجملة فالذى خلد فى خلدهم نسبة الفعل والتصرف اليهم وكفى بذلك شركا ويزعمون ان من سألوه فى اعطاء شئ من الملابس أو الاطعمة أو الدراهم أو الدنانير ولم يعطهم يصير عرضة لمثل تلك الحوادث مادام مبغوضا لهم لهذا السبب الا ان يسترضيهم باعطاء شئ أكثر و يدعون ان تلك الحوادث على فرض وقوعها لمن لم يحبهم فيما يذكرون قبيل الكرامات

الصادرة من الولى حتى انهم يوهمون العوام بذلك فينقادون لهم بكليتهم خوفا منهم واعتقادا أن التأثير لهم وبتلك الواسطة يسلبون أموالهم ويأكلونها بالباطل وهكذا من أمثال تلك الاحوال البواطل فنستعيذ بالله من الشياطين ومتابعيهم * ونقول اذا كان من القضايا المسلمة عند كل مسلم أن الفعل والتصرف انما هو لله وحده فكيف يمكن ان يصدر من هؤلاء العواجز ابتداء لمن لم يجبهم فيما طلبوه من الحطام الفانى اذهم لا يملكون من الامر شيئا بل ولا غيرهم فقد قال تعالى لاعظم المرسلين ليس لك من الأمر شئ وقال تعالى قل لا أملك لنفسى الآية وما ربك بظلام للعبيد فكيف يصدر منه تعالى على أيديهم ما هو أذية لعباده كى ينقادوا لهم فى أكل أموالهم ظلما أو تتميم أغراضهم الدنيوية علما أن ذلك ينافى حكمته الظاهرة وعنايته الباهرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون بل على فرض وقوع ذلك فهو من الله تعالى فقط من غير ان يكون أحد منهم واسطة أو سببا فى وقوعه منه تعالى ولا يسئل عما يفعل فلا يصح أن يكون ذلك الفعل منه تعالى كرامة لهم كما يزعمون وأيضا ان هؤلاء المشايخ الذين هم دون مدّعى الحق بفراسخ لا يعرفون ما هو المطلوب الاولى لكل انسان من العوام حتى أن من اجتمع عليهم منهم يعطونه عهدا على عادتهم ويأمرونه بأذكار القوم وبمجرد ان يرى رؤيا فى المنام بل بمجرد زعمها ينقلونه من ذكر الى آخر وفى مدة قليلة تراه يتزيا بزيهم وينصب نفسه للسلوك كأنهم مع أنه بهذا الاجتهاد فى هذه المدة لا يعرف ما هو المقصود من تلك الاذكار التى يرددها بل انه لا يعرف من الايمان الا اسمه اذ هو لا يدرى ما به تكون عبادته صحيحة كشرائط الوضوء والغسل وفرائض الصلاة والصوم ويعتقد ان الله فى السماء أو فوق العرش أو فى قصر هنالك ونحو ذلك من أوهام العوام التى هى مركوزة فى دائرة خيالات كثير منهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعذره أنه جاهل بعقائد التوحيد التى يجب معرفتها على كل مؤمن ومع ذلك كله فالعهدة على شيخه الذى يأمره بالاذكار ويوهمه انه من الاخيار لما ناله منه من الحظوظ الدنيئة فمثل هذا الشيخ كمثل من يعلق الدر فى آذان الخنازير ويجلس الكلاب على السرير وكفاه بذلك جهلا وضلالا لاسيما أن من يدعون العلم بينهم المتمسكين باذيالهم يتنافسون فى رسائل بعض المتصوفين ويطالعونها بينهم وهم مصروفون عن السير على نهجها ويوافقون هؤلاء المشايخ على سوء افعالهم وتقلبهم فى أودية ضلالهم ولكنهم ظنوا أن ذلك حبالة لوقوع ما به يكون معاشهم فى جوار أولئك المشايخ الضالين فيا ليتهم نصبوا أنفسهم لقطع الطريق على المسلمين لسلب أموالهم حتى يكون ذلك عند الله أحق من أن يلبسوا على الناس أمر دينهم وأيضا ان هؤلاء المشايخ يقولون ما لا يفعلون وينطقون بما لا يدرون ويزعمون انهم وصلوا أعلى المقامات واقتطفوا اثمار تلك الغايات وحاشا أن يكون الواصل من أمثالهم أو الناسج على منوالهم اذ الوصول انما يكون بعد انتهاز الفرصة فى جميع العلوم الشرعية والتوغل فى مطالعة كتب الاخلاق ونحو ذلك مما هو بالنسبة

الى

الى الوصول الى درجات القرب باب كيف لا وقد قال الغزالى معرفة أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع فى مجاريها هى مما لا يستغنى عنه متدين وقال أيضا اذا كان الانسان الغالب عليه أن لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ولا ينفك عنها بشر وبقية مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتها تتبع هذه الثلاثة وازالتها فرض عين ولا يمكن ازالتها الا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فان من لم يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن بدون معرفة السبب والمسبب ومعرفة ذلك من فروض الاعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعنى وقال ان كل عبد هو فى مجارى أحواله فى يومه وليلته لا يخلو من وقائع فى عباداته ومعاملاته من تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه وقال ان علم الفقه لا يستغنى عنه أحد من سالكى طريق الآخرة وقال الجنيد رحمه الله تعالى قال السرى شيخى يوما اذا قمت من عندى فمن تجالس قلت المحاسبى فقال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث أشار الى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه اه وبالجملة فهذه أمور لا بد منها قبل الوصول الى عتبة أول المقامات العالية التى يقطعها السالك بمجرد الاجتهاد فى تجريد النفس من عوائدها بأنواع العبادات والانقطاع عن اللذات حتى تمزق أيدى الحجب النورانية أردية الحجب الظلمانية وغاية هذا الاقدام انمحاء الاثر وقطع الخبر وزوال الانانية ثم النفس لها فى كل مرتبة من هذه الحجب أحوال وشؤن تنبعث عنها معارف الهية وأسرار باطنية فمنها ما هو مسطور فى كتب المتصوفين ككتب الشيخ الاكبر محيى الدين وحجة الاسلام والشعراء منهم كقصائد ابن الفارض وعفيف الدين وغيرهم ومنها ما لا تبينه العبارة ولا تحيط به الاشارة بل يعرفه السالك ذوقا يشهده جنانه ولا يفى به بيانه ولا أقول ان ذلك مخصوص بسالك دون سالك بل كل من قطع تلك المهالك وكان صادقا فى دعواه يشهد عليه سره ونجواه كأن يفصح عن الاسرار التى ذكرت فى كتب القوم على وجه معنى ليس للفهم به مرمى فكل من كان له قدرة على ذلك فدعواه صادقة لا ينكرها انسان بل يشهد بها الانس والجان اذا علمت ذلك فكيف يمكن لهؤلاء المشايخ صدق دعواهم وقد عرا عن المعارف سرهم ونجواهم لما انهم لا يقدرون أن يفصحوا عما تنطق به رسائل المبتدئين فضلا عن كتب المنتهين بل لا يعرفون من علوم الشريعة الا بعض أحكام فقهية هى بعض ضروريات منها وهم مجردون عما عدا ذلك مع أنهم لا يعاملون الناس الا بسوء معاملة

وقد تفرقوا فيما شعروا بالبس لها حد وقبائل لا يحصرها عد تمايزت مناصبهم بين العباد وتكاثروا في الأموال والاولاد وصارت كل فرقة من هذه الفرق تدعو الى نفسها من يندرج في سلكها وتزعم مخالفتها الطوائف غيرها وسيرها على منهج شيطانها انها مرضية لربها كلا تخالفت الأهواء والكل واحد مع ان جميعهم عاكفون على البطالة تاركون لطريق الاكتساب الذي عليه صلاح المعاش والمعاد وذلك أمر يترتب عليه خراب البلاد وهلاك العباد فقد خسروا الصفقتين وحرموا سعادة الدارين ومما ينبغي التنبيه عليه كي لا يصح للمسلم ان يركن اليه ان بعض أولئك الطوائف يتفانون في علم الطلاسم والاوفاق الذي يسمونه بالروحاني حتى ان بعض الاشياخ منهم يتولى اعماله الباطلة بنفسه ويكلف نفسه التبخيرات اللازمة له والرياضات والخلوات الشاقة التي يعدونها شروطا معتبرة في نجاح القصد والمراد من جلب أموال أو تحسين حال أو أذية انسان وهلم جرا من المقاصد التي تعود عليهم باضدادها وذلك حكمة الحكيم حتى ينزعوا من هذه العمليات ويتجنبوا تلك الخرافات ولكنهم أبوا الا الاسترسال في طرق الضلال ومن سوء اعتقادهم وعموم فسادهم انهم يدعون ان امثال هذه الخرافات هي ثمرة الطريقة التي يتداولونها وانه لا يسوغ لمن لم يكن له قدم راسخ في الطريقة ان يسلك مسالكهم في العمليات التي تخص هذا العلم ومن العجيب انهم لا يتحاشون عن اسناد هذه الامور التي هي ضرب المحال الى مشايخهم الغابرين ويعدونها من مآثرهم النافعة وبضائعهم الرائجة لذلك ترى ان العوام ينقادون لهم في جميع مشارعهم الكاذبة لما جبلت عليه أوهامهم واعتادته أفهامهم ان لهذه العمليات تأثيرا صادقا في كل شيء من الافعال العجيبة والاحوال الغريبة كمحبة المتباغضين وبغض المتحابين وكذلك ترى ان من انتظم في سلك جمعيتهم يكون جل همته وغاية بغيته ان يتعلم منهم شيئا من هذه الخرافات لاصلاح معاشه في زعمه ويصرف همته لذلك حتى ينسيه ما ذكر الذكر والاوراد بل انه لا يقصد من الذكر الا كشف الحجاب عن عمليات هذه البواطل أو تسخير الروحانيين وربما انصب بنفسه لتلك العمليات حتى يغنيه ذلك عن أن يتكلف شيئا لمعاشه لما يناله من أيدي الناس في مقابلة ذلك وهكذا حال من اتبع الشيطان والهوى فيا للعجب كيف يعتنون بامثال هذه الخرافات مع انهم من معرفة ضروريات الدين مجردون ولكن من انصرف عن الهدى لا يقع نظره على طريق الاهتدا لذلك صار ديدنهم معادات علوم الدين والتشنيع على علماء المسلمين زعما منهم ان المشتغلين بمعرفة أحكام الشرع لهم نصيب من الاسرار الالهية والمواهب اللدنية وان الاولى لهم ان يسلكوا مسالكهم ولكن شتان بين الفريقين وكيف يستوي الاعمى والبصير وانما يخشى الله من عباده العلماء وانما نشأ لهم ذلك من رئيسهم أبي مرة وكذا المحب لمن يحب مطيع * ولنذكر لك شيئا مما ذكره أئمة الدين وهداة المسلمين فيما يتعلق بتلك العمليات كي تقف على الصواب ولا تعول الا على ما نطق به السنة

والكتاب * فنقول قد ذكر ابن خلدون ونقل مثله الراغب ان هذه العمليات أعنى عمليات الطلاسم والاوفاق ضرب من السحر تحصل برياضات شرعية وذلك ان التصرف فى عالم الكائنات لصنفين من البشر هما الانبياء بالقوة الالهية التى فطرهم الله عليها والسحرة بالقوة النفسانية وقد يحصل للأولياء تصرف يكتسبونه بالملكة الايمانية وهو من نتائج التجريد ولا يقصدون الى تحصيله وانما يأتيهم عفوا والمتمكنون منهم اذا عرض لهم شئ من ذلك أعرضوا عنه واستعاذوا بالله منه وعدوه محنة كما يحكى عن أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه انه وافى شاطئ دجلة عشاء فالتقى له طرفا الوادى فاستعاذ بالله وقال لا أبيع حظى من الله بدانق وركب السفينة عابرا مع الملاحين وأما السحر فانما يحصل بالرياضة السحرية وهى مشحونة بالكفريات كالتوجه للكواكب والدعوات لها وربط الفعل بها فاعتمد لذلك كثيرون ممن يروم التصرف فى عالم الكائنات وقصد والطريق تحصيله على وجه يبعد عن ملابسة الكفر وانتحاله وقلبوا تلك الرياضة شرعية بأذكار وتسبيحات ودعوات من القرآن هداهم الى معرفة المناسب للحاجة أسباب يعرفونها وتحروا مع ذلك الساعات والايام المناسبة وفروا بتلك الرياضة الشرعية عن السحر المعهود الذى هو كفر وسموا هذه الطريقة بعلم السيميا والحروف والطلاسم توغلا فى الفرار من السحر وهم فى الحقيقة واقعون فى معناه لانهم يسندون التأثير لغير الله ثم انهم يقصدون التصرف فى عالم الكائنات وهو محظور عند الشارع ويعدون ذلك من قبيل الكرامات والاسرار وما وقع للانبياء من المعجزات والأولياء من الكرامات فباذن من الله بدون واسطة شئ بل بمجرد نور الايمان فلا تتق بما يموهه هؤلاء فى هذه الطلاسم والاوفاق فانما هى كما قررته لك من فنون السحر وضروبه اه وقد قال الامام حجة الاسلام ان من العلوم المذمومة شرعا علم الطلاسم والحروف وهو نوع يستفاد من العلم بخواص بعض جواهر وأعداد حسابية وتبخيرات يقترن بها كلمات منها ما هو مكفر ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح الا لاضرار الخلق والوسيلة الى الشر شر فكان هذا هو السبب فى كونه علما مذموما وأيضا انه اذا ألقى الى ضعفة العوام انه يحدث عقيب هذه العمليات آثار وذلك بواسطة الاملاك العلوية وقع فى نفوسهم انها هى المؤثرة والمدبرة لانها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها وينمحى ذكر الله سبحانه عن القلب فان الضعيف يقصر نظره عن الوسائط والعالم الراسخ هو الذى يتحقق ان كل شئ مسخر لله تعالى ومثال نظر الضعيف الى المسبب والسبب مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهى تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا تترقى فى نظرها الى مشاهدة الاصابع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى نفس الكاتب ثم منها الى خالق الكل فاكثر نظر الضعفاء مقصور على الاسباب القريبة ولا ينظرون الى مسبب الاسباب فهذا سبب أيضا فى مذمة هذا العلم اه وقد ذكر جمهور من الأئمة ان

علم الطلاسم والاوفاق من أوضاع القدماء من الكلدانيين والسريانيين من أهل بابل وذلك قبل نبوة موسى وكلهم كانوا يعبدون الاوثان يؤيد ذلك ما نقله بعض المؤرخين انه كان لكسرى راية مرسوم فيها الوفق المثيني العددي منقوشا بالذهب فى طوالع فلكية رصدت لوضعه وكان يعدها للنصر فى الحرب وقد خاب بقينه حين قدم الصحابة لمحاربته حيث انهزمت جيوشه وسقطت هذه الراية تحت أرجل خيلهم وما ذكر فى هذا المقام كفاية والرسائل لا تحتمل التطويل والالآتيت بما ذكره كل قبيل وكفى حجة على ذلك عدم اشتغال السلف وتابعيهم بشئ من ذلك بل انهم أعدوا لمن أدخل مثل هذه الموبقات فى ملة الاسلام تشنيعات ملء السماء والارض فقد نقل عن مالك رضى الله عنه انه لما سئل عن الكلمات المهملة التى يرددها أهل هذه الصناعة فى أورادهم وعزائمهم الباردة قال وما يدريك لعلها كفر نظرا منه رضى الله عنه الى ان أمثال هذه الكلمات من أوضاع عباد الاوثان كما تقدم بيانه مع ان هذه الصناعة كانت فى زمنهم خاسرة التجارة قليلة البضاعة لم تبلغ الى حدها الآن والا لقاتلوا أهلها بالاسنة والصفاح الى هنا تم ما أردناه من ذكر بعض معايبهم التى لا تتناهى وهفواتهم التى لا تتناهى والغرض انما هو تنبيه الغافلين عنها المغترين بظواهر الاحوال التى يعقبها لا محالة عموم الوبال فعلى العاقل النبيه ان يتنبه للحق بأدنى تنبيه ويرغب عن كل من تلبس بلباس البهتان ووقف لقطع الطريق على كل انسان وحاشا ان يكون الغرض هو التعصب والعناد والشقاق الذى هو من جنس الفساد بل تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان نرجع الى ما نطقت به الشريعة فما وافق أخذناه وما خالف نبذناه والله أعلم

﴿خاتمة فيما يجب على السالك قبل دخوله فى الرياضة التى هى﴾
﴿طريق أهل العرفان وذكرها اجمالا﴾

ولنقدم لك مقدمة تتضمن انه لا مباينة بين طريق التصوف وطريق الشرع كى يتضح لك اليقين وتبصر الغث من السمين وينفتح لك باب الخطاب وتنتصر على مسيلمة الكذاب فنقول حيث كان السلوك على ما فى كتاب الله وسنة رسوله صعبا على النفوس لا يتيسر من كل أحد لان مقتضاه استسلام النفوس وانقيادها فى جميع شؤنها وأحوالها لما نطق به الشارع الرسول بحيث لا يكون لها غرض فوق غرضه ولا فعل غير ما يأمرها به وهذا ينافى ما هو مركوز فى جبلتها ومودوع فى طوى فطرتها من حب الاسترسال على الشهوات والتقلب فى مراتع اللذات صار ذلك داعيا لمن تقدم ان يجعلوا للنفوس مقامات متفاوتة ومراتب مرتبة حسب تفاوتها فى الانقياد لاحكام الشريعة ووضعوا لكل مقام من المقامات ذكرا مخصوصا مناسبا للمرتبة التى عليها النفس من مراتب الانقياد ففى كل مرتبة من هذه المراتب يحصل للنفس انقياد زائد عما فى قبلها وهكذا فاذا قطعت تلك المراتب على تفاوتها تم لها الاستسلام

الخالص والانقياد التام وحينئذ تخرج عن شهواتها وتتعرى عن أهويتها ولذاتها وتمحى
أوصافها الرذيلة عند شروق كمالاتها ولا تزال تترقى فى الكمال الى الدرجة العالية وهى البقاء
بالله بعد الفناء فيه وفى هذه المرتبة يكشف لها عن أسرار الملكوت وتنطبع بها أنوار
الجبروت ويتم لها الاطلاق عن كل قيد وتتحقق بسر قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل
الوريد ثم انهم سموا هذا الطريق الذى نصبوه شركا لصيد النفوس من أودية الهوى وحبسها
فى مطمورة الشريعة الغرا تصوفا وأنفسهم متصوفين والعلم المدون فيه المراتب والمقامات
علم تصوف فكن على بصيرة فى أمرك ذا عزيمة فى سرك وجهرك وتنور بعين بصيرتك
كما ترى بعين بصرك بما ذكرته لك ان الشريعة هى الأول والآخر والظاهر والباطن فقد
عاد التصوف اليها مافرطنا فى الكتاب من شئ فما بال دعوى ان الطريقين متباينان بل
المصدق واحد والسير فى أحدهما عين السير فى الآخر ولا حجر فى تعدد التسمية ثم انه
لما كان السير على منهج طريق أهل العرفان خفيا جدا احتاج مريد السلوك قبل الخوض
فيه الى واسطتين الواسطة الأولى معرفة الاحكام الشرعية وذلك لان غاية هذا السير انما هو
تلبس النفس بالاخلاق النبوية ولا يمكن لها أن تهتدى الى هذه الاخلاق الا بالسير على
حدود الاحكام والشرائع وذلك لا يمكن الا بعد معرفة جميع هذه الاحكام على اختلاف
أنواعها أعنى ما يتعلق بالمعاملات الضرورية والاعتقادات والعبادات وذلك لان الانسان
مادام مدنى الطبع أى لا استغناء له عن معاشرة بنى نوعه يلزمه معاملات ضرورية لقوام معاشه
من بيع وشراء وأخذ وعطاء وليس معصوما عن الخطأ فى ذلك فهو عرضة لان يظلم أو يظلم
ان لم تكن معاملاته تلك على حد قويم وصراط مستقيم أعنى مضبوطة بقوانين شرعية
وأحكام عدلية الهية وبتلك الواسطة يلزمه لزوما شرعيا ان يعرف ما يتعلق بالمعاملات من تلك
الاحكام والحدود حتى يكون على بصيرة فيما نهى عنه أو أمر به الشرع فى كافة معاملاته
وأيضا هو يلزمه ان يعرف مبدأه وخالقه بما له من الصفات والكمالات وليس عقله كافيا فى
معرفة الكمال بالذات والنقصان بالذات فهو محتاج لان يعرفه من جهة ما ورد فى الشرع
من الاحكام المتعلقة بالمبدأ والمعاد وكذلك لما كان يلزمه الانقياد والاستسلام بالخضوع
والتذلل بعبادة ربه وخالقه بطرق شتى لا على أى وجه كان بل على وجه لائق كامل مناسب
لا يكفى سواه كان محتاجا فى معرفته الى ما نطق به النبى الصادق المصدق من الاحكام والشرائع
المتعلقة بالعبادات فوجب عليه أن يعرف من الحدود والاحكام الشرعية ما يتعلق
بالعبادات منها حتى يكون على حد قويم وصراط مستقيم فى جميع أطواره وشؤونه وحينئذ
يكون مستعدا لان يرقى فى معراج الكمال الذى هو غاية طريق أهل العرفان والواسطة الثانية
فى هذا السير الشيخ الكامل الذى يكاد زيته يضئ ولو لم تمسسه نار لانه نور على نور فهو للسالك
بمنزلة القائد للاعمى الذى لا يسمع ولا يبصر وبمعونته يكون السالك آمنا من رجوع القهقرى

أو الحيرة فى تجاوز المفاوز المهمة على من لم يسلكها بحيث لا يهتدى لها استقلالا أو الا بعد
طول ثم انه بدون هذين الواسطتين لا يمكن لشخص ان يجعل قدمه فى عتبة أوّل المقامات
العالية وخصوصا أوّل الواسطتين فانها بمنزلة الزاد والراحلة وصحة البغية لمن يريد السفر والثانية
بمنزلة من يدل هذا المسافر على منهج سيره وربما كان هذا المسافر ذا حدس صائب ورأى
وفهم ثاقب يغنيه ماذكر عن هذا الدليل فعلى الشيخ الكامل ان يبعد عن هذا الطريق من
عرا من الواسطة الأولى وعلى من يريد السلوك ان يجتهد كل الاجتهاد فى تحصيلها منه أو من
غيره بل لا خصوصية لمريد السلوك اذ على كل مؤمن معرفة أحكام الدين وشرائع المسلمين
لما ان ذلك أمر لازم لصحة الايمان وعلى مرشدى المسلمين ان يبذلوا جهدهم فى ذلك سواء
أهل العلم منهم وأهل الطريق حتى يكون ذلك سببا لانتظام عباد الله فى أحوالهم الدينية
والدنيوية والاقتفاء الفائد فى الارشاد وتدوين الاحكام بين العباد فقد كان الصدر الاوّل
من السلف والخلف لهم العناية التامة فى نشر الاحكام واذاعتها بين الخاص والعام حتى انه
لا يوجد فيمن تقدم فى زمنهم من لا قدرة له على الاجتهاد الا النادر القليل وهذا من تقدمهم
فى معرفة الاحكام الدينية التى عليها التعويل وأما أهل الطريقة منهم فكان السير على نهجهم من
الاسرار التى لا يحصلها الا من صار له قابلية تامة بمعرفة الشريعة كما ينبغى وملحوظات أخرى
يعرفها الكمل منهم كما يحكى عن بعضهم انه ما كان يعطى تلميذه العهد الا بعد أن يخدمه خمسة
عشر سنة أو أكثر حتى يقف على ظاهره وباطنه وهذا بخلاف هذه الأزمنة التى جعلت فيها
الطريقة والشريعة على طرفى نقيض حتى أن من نصب نفسه لاعطاء العهود لا يبالى بنفسه
ان كان عالما بالشريعة أو جاهلا بها بل ويزعم ان تعلم الاحكام الشرعية الضرورية وتعليمها
وظيفة المقطوعين عن سنن الهدى وحسبهم الله فقد مرقوا من الدين كما يمرق السهم من القوس
بما يموهونه من شريعتهم الجديده وهذه مكيدة وأى مكيده ولنرجع الى ما نحن بصدده
فنقول اذا تم لمريد السلوك هاتان الواسطتان وعلم ان دار الغرور وما يتعلق بها شر بالذات
وان دار الحق وما يتعلق بها خير بالذات وكل ما كان شرا بالذات فهو نقص بالذات وكل ما كان
خيرا بالذات فهو كمال بالذات فحينئذ تشتد رغبته فى ذلك الكمال ونفرته عن ذلك النقصان وتتحرك
نفسه الى عالم الكمال والبهجة والجمال وذلك هو الارادة عند العارفين وباعتبارها يسمى
هذا السالك مريدا كما قال بعضهم أوّل درجات حركات العارفين ما يسمونه هم الارادة وهو
ما يعترى المستبصر باليقين البرهانى أو الساكن القلب الى العقد الايمانى من الرغبة فى اعتلاق
العروة الوثقى فيتحرك سره الى القدس لينال من روح الاتصال فما دامت درجته هذه فهو
مريد ثم ان هذا المريد اذا تشبث فى معراج الكمال لا بد له من الرياضة التى هى بمنزلة جناحى
الطائر فى الوصول الى مقامات القرب * والرياضة مجموع ثلاثة أشياء الاوّل تنحية ما دون
الحق عن متن الايثار ويعين عليه الزهد الحقيقى وهو الانقطاع عن علائق الدنيا بالكلية

باستحقار كل ماسوى الحق من حيث ذاته لامن حيث هو منه والا كان ذلك محض الشر والى
ماذكر أشار بعضهم بقوله الزهد عند العارف تنزه تاما عما يشغل سره عن الحق وتكبر على
كل شئ غير الحق وليس المراد من التكبر ما يتناوله ظاهر اللفظ بل المراد استصغار كل شئ
بالنسبة الى جانبه تعالى الثانى تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة لتنقطع الطماعية
عما يناسب الامور السافلة حتى لايتخيل أو يتوهم أو يشتهى الا ما كان من ملائمات
الانوار العالية والمراد من النفس الامارة قوى الحس والشهوة والغضب المستخدمة للتوهم
والتخيل ومن النفس المطمئنة القوة العاقلة الطالبة لمعرفة الله تعالى ومحبته والمراد
من التطويع المذكور ان يصير الحس والشهوة والغضب مقهورين للقوة العاقلة التى
هى بطبعها متوجهة الى جناب القدس فيكون عمل التوهم والتخيل تابعا لها لانه تابع
للحس والشهوة والغضب ويشهد لذلك ان الانسان اذا كان الغالب عليه الشهوة كان
عمل الوهم والخيال منصرفا الى ما يتعلق بمشتهياته من الاطعمة اللذيذة والملابس الفاخرة وان
كان الغالب عليه الانقطاع الى الله تعالى وعن الدنيا كان عملهما فيما يناسب ذلك ففى
انقياد الحس والشهوة الى القوة العاقلة حصلت الاعانة من كل منهما الى مرغوبها الواحد
الذى هو الانقطاع عن الزور والدخول فى سرادقات النور ثم المعين لهذا التطويع أمور
منها العبادة المشفوعة بالفكرة أما العبادة فلأن النفس فى أول الرياضة قليلة الالتفات الى
الجانب الاعلى فلا بد من سبب مذكر وماذاك الا العبادة وأما كونها مشفوعة بالفكرة فلان
الغرض من العبادة تذكر كمال المحبوب من جلال وجمال حتى تترع النفس من حضيض
نقصانها الى أوج كمالها ومنها نفس الكلام الواعظ من قائل كامل بعبارة بليغة وسمت رشيد
أما كون العبارة بليغة فلاجل أن يكون الكلام مستحسنا واضح الدلالة على كمال مايقصده
فان ذلك غاية على تنبيه النفس الى الكمال وجعلها غالبة على القوى ومعنى كون القائل على
سمت رشيد أن يكون ذا زهد وورع ليكون كلامه مؤديا الى تصديق نافع لمريد فى السلوك
والثالث من أركان الرياضة تلطيف السر وتجريده عن الغفلات وتحديقه نحو المطلوب
وهذه حالة يجدها العاقل عند النظر والتفكر ويعين عليه الفكر اللطيف وهو الحاصل ممن
يمارس الافكار والاستذكار اذ الفكر يلزمه خلع كل شئ عن العقل وبه يحصل تلطيف
السر ويعين عليه أيضا كثرة الخلوات والصيام المتتالى وهذا تمام مايلزم المريد من الرياضة
التى هى معراج سيره الى أعلى المقامات فاذا بلغت به هذه الرياضة الى حد من الزمان عنت
له خلسات من اطلاع نور الحق عليه لذيذة كأنها بروق تومض اليه ثم تخمد عنه وهو المسمى
عندهم أوقاتا وكل وقت يكتنفه وجدان وجد عليه ووجد اليه ثم انه ليكثر عليه هذه الغواشى
اذا أمعن فى الارتياض حتى يحصل له تلك اللوامع فى غير وقت الارتياض ويصير بحيث كلما
لمح شيأ انعطف منه الى جناب القدس كما يحكى ان واحدا من السائرين سمع رجلا يبيع القثاء

ويقول

و يقول الخيار عشرة بحبة فصاح صيحة وقال أوّاه ثم أوّاه اذا كان الخيار عشرة بحبة فما بال الاشرار وهكذا يرى من هذا العالم العجائب من فهم الاشارات من الكائنات الصادرة عن الحق بواسطة أنواع التحريك والتسكين الحاصلين فى أجسام العالم و يكون كل فهم اشارة سببا معدا لفهم اشارة أدق وألطف حتى لو وقعت ذبابة عليه نبهته اما على تجل منتظر او على غفلة سبقت منه وكذا ان أكرمه انسان رآه انه تعظيم الله لمراعاة تعظيمه و بالجملة كما أن بعض الارواح اذا قرب من بعض وتأكد بينهما المناسبة الروحية يفهم كل منهما من الآخر معانى خفية باشارات وفيه يقول الشاعر

يخبرنى باللحظ اسرار قلبه * فاخبره بالطرف أن قد فهمتها
وتنهى اليه نظرتى ما أريده * فيفهمنى بالجفن أن قد علمتها

فكذا النفوس المستضيئة بانوار الله تعالى ادراكات معانى خفية يخصون بفهمها وفى هذه المرتبة يكون السالك حيا بافعال الحق ميتا عن افعال نفسه وغيره من المخلوقين فيرى المخلوقات أعيانا قائمة وأفعالها جارية عليها باجراء الله تعالى فاذا تمرن مدة فى ذلك انكشف له ان أعيان الموجودات أفعال الله فيتحقق عنده أن التخليق عين المخلوق وان المفعول والفعل واحد فاذا تحقق بهذا المقام بلغ المنتهى فى الحياة بفعل الله واستعد لحياة أشرف منها وذلك أن ينكشف له عن صفاته تعالى وقلما يتجاوز عن هذا المقام سالك وفى تجلى الصفات يتلاشى الفهم والعقل وجميع الادراكات و يتحقق سر قوله لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل الحديث وفى هذا المقام تستعر نار الشوق غاية الاستعار ارادة لحرق كل الاغيار فان العاشق السالك قطع المخاوف والمهالك فيكون فى سيره ذلك كالريح العاصف بل البرق الخاطف منازله الانمحاق فى الوحدانية ومشاربه الاستغراق فى عين الفردانية اذا أبصر قدامه خطف باصره بروق جلال المطلوب واذا نظر الى نفسه طالعه فيها جمال المحبوب ولا ينظر الى شئ الا ومحبوبه متجل فيه ولا يسمع صوتا الا وحبيبه يناجيه ثم اذا تهيأ للحياة أشرف انكشف له عين الذات وهنالك الولاية لله الحق وظهر بطريق الحق اليقين معنى كل شئ هالك الا وجهه وانكشف له ذاته الحقيقية بذاته وحدته فلا يرى غير ذاته و يتحقق أن ما ليس بذاته ولا ظلال ذاته غير موجود قطعا وهذا الموجود الذى وصل اليه هو الموجود حقا وغيره موجود بوجوده وهذا غاية الغايات ونهاية النهايات هذا قول اجمالى يطلب تفصيله من كتب القوم من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد هذا ما وعدت به الارادة وصدقت به الاجادة وانه لعلى منوال عجيب ومثال غريب رحم الله من نظر فيه بعين الانصاف ونكب عن سواء الاعتساف وأنا مقر بقلة اقدامى شهيد بأن ذلك رمية من غير رامى فالحمد لله على اهدائه والصلاة منه على أشرف أنبيائه سيدنا محمد وآله وأصحابه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون (يقول) أسير الذنوب وكثير العيوب وفابن

محمد وفا القونى المالكى قد تمت تحرير هذه الرسالة بحمد الله وعونه فى شهر
ربيع الاول سنة اثنين وتسعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على
صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية فالامل من رب الحذاقة
وأخى المكارم والصداقه أن يتدارك مايتوقع بها
من الخلل ويستر ماعساه أن يكون من الزلل اذ
الغلط من ضروريات اللسان والنسيان
من لوازم الانسان فنسأل الله سبحانه
أن يمن علينا بما يهيئنا القبول
المعارف ويدخلنا فى
جناب ظل أمانه
الوارف
آمين

تم طبعها و بلغ نفعها بالمطبعة الوهبيه احدى المطابع المصريه مصححة بقلم الراجى عفو الصمد محمد البليسى بن محمد وذلك فى العشر الثانى من شهر صفر الخير أحد شهور عام ١٢٩٣ ثلاث وتسعين ومائتين بعد الالف من هجرة من خلق على أكمل وصف صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وشرف وكرم * وما أحسن ما قاله بعضهم مقرظا لحسن صنعها ومؤرخا تمام طبعها المرقوم اسمه فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك ما أعظم شانك وأوضح برهانك أبتهل اليك يا واجب الوجود مسبب الخير والجود فى أن تفيض سجال صلواتك على أشرف مخلوقاتك محمد رافع منار اليقين المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله الاطهار ما تعاقب الليل والنهار (أما بعد) فيقول أفقر العباد للفيض الالهى حسن بن على بن على البلبهى

هذا الكتاب شريف * آياته بينات * أبان عن كل رشد * فكلامه معجزات فلا غرو هو نتيجة فكر صائب لذى حدس ثاقب امام عارف بالرد على المخالف ولما ان سما برهان ردعه قلت مؤرخا حسن طبعه

أهل الدراية أهل وادى المشرق * من كل بدر فى الحقيقة مشرق
هموا بذيالك المؤلف من وفا * اللوذعى الالمعى المتقى
وارضوه للاتباع أى ربيئة * تنبهموا عن كل أمالك شقى
فهو الحرى بأن يبين وكيف لا * ونقوله أخذ الكواذب تتقى
من شام فى الالزام قبلا مثله * أو ليس أن يد العلا للاسبق
بالله عدوا ما سواه وساوسا * وتأملوا قولى بعين مدقق
واذا ثبت ما ادعيت وأنما * أبدى الشريف قذى بعين الأحمق
وبطبعه سامى السماك فأرخوا * قد جاء حسن الرد طبعا مرتقى

٧٥٠ ٨٢ ٢٣٥ ١١٨ ١٠٨

سنة ١٢٩٣

ولما فاح مسك ختامها ولاح بدر تمامها قرظها شيخنا الفاضل وهمامنا الكامل حامل راية الادب * ومن رقى فى المعارف أعلى رتب ملجأ القاصى والدانى الاستاذ الشيخ محمد البسيونى البيبانى لازالت به المعارف باسمة الرياض مترعة الحياض آمين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم اللهم لك الحمد والشكر كما ينبغى لجلالك وعظيم وجهك سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اذ الأمر منك واليك فصل على نبيك ورسولك وحبيبك وخليلك سيدنا محمد أشرف خلقك وآله وصحبه وسلم آناء الليل وأطراف النهار ما صدع بالحق صادع الأمر بالعرف والنهى عن المنكر فى الآصال والابكار * وبعد فيا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ومن ضيع الاصول حرم الوصول فدونكم رسالة اشتملت على النصيحة الخالصة لكن أين أربابها وأحاطت من الشريعة باللباب لكن أين طلابها ولعمرى لقد استطار الشرر وتزايد الضرر وظهرت البدع والمنكرات فى قالب البر والخير والحسنات ومن يضلل الله فماله من هاد ومتى قضى الله أمرا فماله من راد لقد كثر المتشبهون وتستر المتسترون وفسدت الاعمال وخابت الآمال حتى سبق الى قلب من لا يعرف السلف سوء الظن بهم والتلف وكاد لا يسلم من وقيعة فيهم ورمى فيمن يقتفيهم ظنا منه أن حاصلهم راجع الى مجرد الرسم وتخصيصهم عائد الى مطلق الوسم وما درى أن أولئك الاولين السابقون الاولون وأن هؤلاء الاوباش لئام أرذلون كل منهم حاد عن السنة وانحرف ولا يعدل عنها الا من نور بصيرته انكسف وبالجملة فقد دعا صاحب هذه الرسالة الى سلوك الطريق المستقيم وبين ما اقتفاؤه اقتفاء الدين القويم بنصوص جامعه وحجج قامعه فجزاه الله خيرا عن المسلمين بجاه النبى الامين وآله الاكرمين تقبل الله منه ما قدمت يداه وبلغه فى الدارين مناه بجاه محمد وآله وصحبه وسائر أنبياء الله

ولما تصفح عباراتها وتتبع بالمطالعة صفحاتها وحيد الزمان وأحد أركان جمعية الامتحان من له اليد الطولى فى العلوم ومن سارت بذكراه النجوم شيخنا العلامة الشيخ أحمد الجيزاوى لازال لأشتات الفضائل حاوى كتب بخطه مقرظا لها أيضا ما نصه

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله الذى طهر قلوب أحبابه من الاغيار ونور بصائرهم بالمعارف والاسرار والصلاة والسلام على سيد المرسلين * القائل من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين * المفوض اليه امداد الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين بمعالى القرب وبيناته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه حماة الدين القويم عن زيغ كل زائغ ونحر بدعاته

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يامن تجلت آثار ابداعه بديعة المثال وتخلت عن الاتصاف بان ينسج على ما لها من منوال نحمدك على اطلاع شموس الشرائع فى آفاق الوجود وتقليد أعناق الامم بارسال الرسل الكرام أطواق المنة والجود فلم يبق لهم حجة ان ادعوا اخفاء معالم ما طلب منهم ولم يبق سبيل اذا خالفوا وحالفوا الابتداع لدفع وبال النكال عنهم ونصلى ونسلم على من جاء بالشريعة بيضاء نقيه ومحا رسوم الابتداع حتى لم يبق منها بقيه سيدنا محمد القائل لن يخرج الدجال حتى تقوم قبله دجاجله وعلى آله وأصحابه المميزين فى كل أحوالهم بكل فاضله ما قيل عند العجز عن تغييره منكر اللهم ان هذا لا نرضاه ولا نقدر على ازالته وتجلت شموس البراهين على ابطال الباطل واحالته (أما بعد) فليس يصح فى الاذهان شئ اذا احتاج النهار الى دليل وقسما بمن أكرم بالرساله انى لعاجز عن وصف هذه الرساله وهل فى الوسع الثناء على من أحيا سنة حسنه الا بالاعتراف بالعجز عن أن نمدح سنته ويمينا اسطوة الحق على جيش الاباطيل وما يسلط على جنده من طير الانتصار الابابيل ان الفصيح فى ساحة مدحه أبكم ولكن جهد المقل فيه الثواب الأعظم فيا من أنفق كنز جهده فى السيرالقصور رحور الشريعه وصده القصور عن الوصول اليها بالاسوار المنيعه فوقف عند حده ولم يمكنه التعريف بنفسه فى ذلك الحى لنفاد جده دونك هذه الآيات البينات واستغن بصريحها عن الاشارات

واذا يقال بدت معالم شرعنا * بعد الظهور وقد تكنفها الخفا
وعليكم أخذت عهود أنكم * لا تتركوها فى ميادين العفا
فقل اتخذنا العجز عن ذاديدنا * وبمقتضى تلك العهود وفى وفا

السيد الهمام رفيع المقام غرة طلعة الدهر وزهرة طالع الشرف والفخر لا زال عدة لاقامة شعائر الدين متمسكا من فكره النقاد الوقاد بالعهد المتين ولا برح مبرزا من حدائق الحقائق ورقائق الدقائق كل آيه تكون عند ابتداء تعداد مفردات الحسن والاحسان غايه ونهايه بمنه ويمنه آمين

﴿وهذا نص ما كتبه الفاضل الهمام على المقام الاستاذ الشيخ﴾
﴿عبد البرمنة فوفى بالمقام وأتى بحسن الختام حفظه الله آمين﴾

الحمد لله على نعمائه والصلاة منه على سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه والتابعين آمين (وبعد) فقد وضح الحق وبان الكذب من الصدق فعلى كل مؤمن أن ينهى عن المنكرات ويطمس معالم الز ور والضلالات كما أمر الله فى كتابه وحث عليه سيد أحبابه وهذه

رسالة تذيلك عن سنة الرسول وتبعدك عن ضلالة كل جهول نخذها بالقبول وادع لمؤلفها
نيل المأمول وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ومما ظهرت به هذه الرسالة ظهور الشمس فى الرابعه بل﴾
﴿وحلت به فوق ذروة السماء السادسه ما كتبه العالم﴾
﴿النحرير والعلم الكبير الاستاذ الشيخ محمد عليش الصغير﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى جعل السعادة الابدية فى اعتقاده معنى لا اله الا الله
محمد رسول الله * والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى
لا اله الا الله وعلى آله وأصحابه الذين بينوا السنة لسيدنا ونبينا ومولانا محمد رسول الله وعلى
التابعين والأئمة المجتهدين خصوصا الأئمة الاربعة السادة الهداه (أما بعد) فقد
طالعت على هذه الرسالة الشريفه فوجدتها مشتملة على نصوص صحيحة صريحة منيفه فيجب
الاعتماد عليها والرجوع فى بابها اليها كساها الله تعالى حلل القبول وبلغنى ومؤلفها
جميع المسلمين كل المأمول وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿وهذا ما كتبه العالم العامل واللوذعى الكامل تحقيقا لمآربها وتصديقا﴾
﴿لمطالبها شيخنا الامام الشيخ حسن داود المالكى لازال للفضل غاية ونهاية﴾

نحمدك يا من لك العظمة والجلال والعزة والكمال ونشكرك على ما أوليتنا من النعماء
فى السراء والضراء ونصلى على تاج مملكتك وسراج أهل حضرتك سيدنا محمد المرشد الى
سبيلك القويم وصراطك المستقيم وعلى آله وأصحابه القائمين باعباء الهداية المتمسكين
بحبال الشريعه صلاة تملأ الاكوان على ممر الأزمان (وبعد) فان شر الامور محدثاتها وكل
محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار فيامن طوحت به طوائح البدع والجهالات
فى مهاوى الزور والضلالات خابت آمالك وأوقعتك حبالك وحقت كلمة العذاب
عليك وردتهم لك اليك أما ارعويت بمنادى الحق حى على الفلاح اما اردك رائد
النظر الى ساحات النجاح فوالله لا ينفعك تدليس ولا يغنى عنك تلبيس فانزع من حضيض
البدعه الى أوج الشريعه خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم فسلم تسلم واستقم
تغنم فالداهية الكبرى بدعة ترديك ودعوة تصميك فدونك هذه رسالة أسفرت عن الوجه
الحق النقاب وكشفت عن مخدراته كل حجاب فلا جرم اقتفاؤها اقتفاء الدين واتباعها
اتباع الحق اليقين جزى الله مؤلفها خير ما جوزى به بار بجاه النبى المختار آمين


OL
23900
1